الإنسان بعد الدنيا (1)

الشيخ حسن بدران

الكلمات المفتاحيّة: حسن بدران؛ الدنيا؛ الآخرة؛ الموت؛ الله؛ الروح؛ النفس؛ البرزخ؛ القيامة؛ نفخة الصُّور.

[1]

في الموت والأجل

أَجَلُ الشيء هو الظرف (الوقت) الذي ينتهي إليه الشيء، فيستقرّ فيه. (نهاية الشيء).

- **كلّ مخلوق وجوده محدود بأجل؛ مسمّى ومقدّر ومعيَّن، لا يتعدّى وجودٌ عن أجله.**

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2].

- **الأجل المسمّى عنده تعالى، محفوظ في عالم الأمر، حاضر لديه، لا ينفد أو يتغيّر أو يفسد.**

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ﴾[3].

فالأجل أجلان، أو أجل واحد ذو وجهين: أجل زمانيّ دنيويّ، وأمر إلهيّ.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾[4].

- **الأجل المسمّى هو الرجوع إلى الله، والمصير إليه.**

---

[1] سورة **الأحقاف**، الآية 3.

[2] سورة **الأعراف**، الآية 34.

[3] سورة **الأنعام**، الآية 2.

[4] سورة **النحل**، الآية 96.

﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾[5].

يوم الرجوع إلى الله والسوق إليه هو يوم الموت.

مفهوم الموت في الروايات

"وما خُلقتم للفناء، بل خُلقتم للبقاء، وإنّما تنتقلون من دار إلى دار"[6].

"تخاف من الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتّسخت وتقذّرت وتأذّيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب، وعلمت أنّ الغسل في حمام يزيل ذلك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك، أو تكره أن تدخل فيبقى ذلك عليك؟... فذلك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما يبقى عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتك".

"ما الموت إلاّ قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة"[7].

"إنّ الدنيا سجنُ المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذب ولا كُذّبت"[8].

الموت: "للمؤمن، كنزع ثياب وسخة قَمِلَة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطئ المراكب، وآنس المنازل. وللكافر، كخلع ثياب فاخرة، والنقل من منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، أوحش المنازل، وأعظم العذاب"[9].

"هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة، إلّا أنّه طويل مدّته، لا يُنتبه منه إلّا يوم القيامة"[10].

---

[5] سورة **العنكبوت**، الآية 5.

[6] الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[7] الإمام الحسين عليه السلام.

[8] الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

[9] الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام.

[10] الإمام محمّد بن عليّ عليهما السلام.

- **دلالة التوفّي على مفهوم الموت.**

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾[11].

التوفّي: هو أخذ الحقّ من المطلوب بتمامه.

النوم والموت كلاهما توفّي.

ونُسب إلى الأنفس، وهو الأمر الذي يعبّر عنه الإنسان (بأنا)، فالمتوفّى هو النفس دون البدن.

يترك الروح الجسد بالموت، والوارد في النشأة الأُخرى من الإنسان، نفسه وروحه.

- **مَن الذي يتوفّى الأنفس؟**

– ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ نسب التوفّي إلى نفسه تعالى.

– ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[12] نسبه إلى مَلك الموت.

– ﴿حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[13] نسبه إلى الملائكة الرُّسل.

ومرجع الجميع واحد؛ فالأفعال كلّها لله. وهي مع ذلك ذات مراتب.

– فمن نفسٍ يتوفّاها الله بنفسه تعالى، لا تحسّ ولا تشعر بغيره سبحانه.

– ومن نفسٍ يتوفّاها مَلك الموت، لا تشعر بمَن دونه.

– ومن نفسٍ تتوفّاها الملائكة عَمَلة مَلك الموت.

---

[11] سورة **الزمر**، الآية 42.

[12] سورة **السجدة**، الآية 11.

[13] سورة **الأنعام**، الآية 61.

فكما أنّ حال الأنفس في القرب من الله سبحانه على مراتب حقيقيّة، كذلك حال المتوفّ.

- **كيف تُقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق؟**

في رواية: قال مَلك الموت: أدعوها فتجيبني. وقال مَلك الموت: إنّ الدنيا بين يديّ كالقصعة بين يدي أحدكم يتناول منها ما شاء، والدنيا عندي كالدرهم في كفِّ أحدكم يقلّبه كيف شاء.

في رواية: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعوانًا من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة، له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجهم، فتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم مَلك الموت مع ما يقبض هو، ويتوفّاه الله عزّ وجلّ من مَلك الموت.

وفي رواية: وإنّما يكفيك أنْ تعلم أنّ الله المحيي المميت، وأنّه يتوفّ الأنفس على يدي مَن يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم.

- **التوفّي يحصل من الباطن**

– ﴿إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[14].

– ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[15].

فهو سبحانه أقرب إلى النفس من نفسها.

وملائكته من عالم الأمر و(بأمره يعملون)، والنفس أيضًا من هناك، ولا حجاب في الأمر بشيء من الأزمنة والأمكنة.

فالتوفّي من باطن النفس وداخلها، دون الخارج عنها وعن البدن.

---

[14] سورة **سبأ**، الآية 51.

[15] سورة **الواقعة**، الآيات 83 إلى 85.

- **بطلان الأسباب الدنيويّة بالموت**

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (بطلان الأموال والأنصار) وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ (من أموال..) وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء (من أنصار..) لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ (سبب البطلان) وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[16].

النفس الإنسانيّة المتوقّاة لا تبطل بالموت.

وقد سكنت في الدنيا واستأنست بها.

فأوّل ما ينكشف حين الموت بطلان ما في الدنيا: ممّا يملكه من زينة الحياة الدنيا وزخرفها. وما يرتبط به من أزواج وأولاد وأقارب وأصدقاء ومعارف. فيبقى ما في الدنيا في الدنيا.

وتشرع من حين الموت حياة أُخرى للإنسان فاقدة لجميع ما في الدنيا.

- **انتفاء التكليف بالموت**

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[17].

يترتّب على مفارقة النفس للجسد:

1. فقدان صفة الاختيار على كلا طرفي الفعل والترك.
2. ارتفاع موضوع التكليف.
3. وقوع الإنسان في طريق السعادة أو في طريق الشقاء.

---

[16] سورة **الأنعام**، الآيتان 93 و94.

[17] سورة **الأنعام**، الآية 158.

- **كيفيّة قبض روح المؤمن**

سئل الإمام الصادق عليه السلام: هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: "لا والله، إذا أتاه مَلك الموت لقبض روحه، جزع عند ذلك، فيقول له مَلك الموت: يا وليّ الله، لا تجزع! فوالذي بعث محمّدًا، لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من والد رحيم، افتح عينيك فانظر. قال: ويَمثُل له رسول الله، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمّة من ذرّيّتهم، فقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة رفقاؤك، فقال: فيفتح عينيه فينظر، فينادي روحه منادٍ ارجعي إلى ربّك راضية بالولاية، مرضيّة بالثواب، فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي، فما من شيء أحبُّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي.

عن أبي جعفر عليه السلام: إنّما أحدكم حين يبلغ نفسه ها هنا فينزل عليه مَلك الموت، فيقول: أمّا ما كنت ترجوه فقد أعطيته، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويُفتح له باب إلى منزله من الجنّة، ويقال له: انظر إلى مسكنك في الجنّة، وانظر إلى رسول الله وعليّ والحسن والحسين رفقائك، وهو قول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[18].

وفي حديث الحارث مع أمير المؤمنين عليه السلام: وأبشّرك – يا حارث – لتعرفني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار، أُقاسمها قسمة صحيحة، أقول هذا وليّي فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: أمَا أنّه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتّى يراني حيث يكره.

عن الصادق عليه السلام: ما من أحد يحضره الموت إلّا وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر، ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمَن كان مؤمنًا لم يقدر عليه. فإذا حضرتم مَوْتَاكم، فلقّنوهم شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله، حتّى يموت.

---

[18] سورة **يونس**، الآية 63.

عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن يساره ليصدّه عمّا هو عليه، فيأبى الله ذلك، وكذلك قال الله: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[19].

[2]

في البرزخ

- **الثواب والعقاب بعد الموت قبل القيامة**

– ﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[20]؛ المراد السماوات والأرض قبل القيامة.

– ﴿مِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[21].

البرزخ أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.

– ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[22].

فهم في البرزخ يُعرضون على نار الآخرة، فالغدوّ والعشيّ لا يكونان في القيامة التي هي دار الخلود، وإنّما يكونان في الدنيا. لذلك عقّب سبحانه بقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[23].

---

[19] سورة **إبراهيم**، الآية 27.

[20] سورة **هود**، الآيات 105- 108.

[21] سورة **المؤمنون**، الآية 100

[22] سورة **غافر**، الآية 46.

[23] سورة **غافر**، الآية 46.

- ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[24].

البكرة والعشي إنّما يكونان من الليل والنهار في جنّة الحياة قبل يوم القيامة.

- **حال الوليّ والعدوّ في البرزخ**

عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: "إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يوم من أيّام الآخرة، مثُلَ له أهله وماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله! إنّي كنت عليك لحريصًا شحيحًا، فما لي عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك. ثمَّ يلتفت إلى ولْده فيقول: والله! إنّي كنت لكم لمحبًّا، وإنّي كنت عليكم لمحاميًا، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها. ثمَّ يلتفت إلى عمله فيقول: والله! إنّي كنت فيك لزاهدًا، وإنّك كنت عليّ لثقيلًا، فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك، حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّك.

فإن كان لله وليًّا أتاه أطيب الناس ريحًا، وأحسنهم منظرًا، وأزينهم رياشًا، فيقول: أبشر برَوْح من الله وريحان، وجنّة ونعيم، قد قَدِمتَ خير مقدَم، فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنّة. وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجّله، فإذا أُدخل قبره أتاه مَلكان، وهما فتّانا القبر، يجرّان أشعارهما، وينحتان الأرض بأنيابهما، وأصواتهما كالرعد العاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربّك، ومن نبيّك، وما دينك؟ فيقول: الله ربي، ومحمّد نبيّي، والإسلام ديني. فيقولان له: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[25]، فيفسحان له في قبره ومدّ بصره، ويفتحان له بابًا إلى الجنّة ويقولان: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، وهو قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[26]. قال: وإن كان لربّه عدوًّا، فإنّه يأتيه أقبح خلق الله رياشًا، وأنتنه ريحًا، فيقول له: أبشر بنُزُلٍ من حميم، وتصلية جحيم. وأنَّه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يحبسه. فإذا دخل قبره، أتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه، ثمَّ قالا له: من ربّك، ومن نبيّك، وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: ما دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة

---

[24] سورة **مريم**، الآية 62.

[25] سورة **إبراهيم**، الآية 27.

[26] سورة **الفرقان**، الآية 24.

ضربةً ما خلق الله دابةً إلّا وتذعر بها، ما خلا الثقلان. ثمَّ يفتحان له بابًا إلى النار، ثمَّ يقولان له: نم بشرٍّ حال. فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجّ، حتّى إنّ دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها، فتنتهشه حتى يبعثه الله من قبره. وإنَّه ليتمنّى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشرّ.

فغير المستضعفين ومن يلحق بهم مسؤولون، ثمَّ منعّمون أو معذّبون بأعمالهم.

- **من لا يُسأل في البرزخ؟**

قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يُسأل في القبر إلّا من محّضَ الإيمان محضًا، أو محّض الكفر محضًا، والآخرون يُلهَون عنهم.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: أمّا هؤلاء، فإنّهم في حُفَرهم لا يخرجون منها، فمَن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يخدّ له خدًّا إلى الجنّة التي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الرَوح في حُفرته إلى يوم القيامة، حتّى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله، قال: وكذلك يُفعل بالمستضعفين، والبُله، والأطفال، وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحُلُم.

فالمستضعفين والمتوسّطين مسكوت عنهم في البرزخ.

- **هيئة الروح البرزخيّة**

عن الصادق عليه السلام، قال: فإذا قبضه الله إليه، صيّر تلك الروح إلى الجنّة في صورة كصورته في الدُّنيا، فيأكلون ويشربون. فإذا قدِم عليهم القادم، عرفهم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

عن الصادق عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم.

عن الصادق عليه السلام: أنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنّة تعارف وتساؤل، فإذا قدمت الروح على الأرواح تقول: دعوها فإنّها أقبلت من هول عظيم، ثمَّ يسألونها: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيًّا، ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا قد هوى، هوى.

- **يزور أهله (رابطة البرزخ بالدنيا)**

عن الصادق عليه السلام، قال: إنّ المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحبّ، ويستر عنه ما يكره، وإنَّ الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره، ويستر عنه ما يحب.

عن الصادق عليه السلام، قال: ما من مؤمن ولا كافر إلّا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة.

عن أبي الحسن **الأوّل**؟ عليه السلام، قال: سألته عن الميّت يزور أهله؟ قال: (نعم). فقلت: في كم يزور؟ قال: (في الجمعة، وفي الشهر، وفي السنة، على قدر منزلته)، فقلت: في أيّة صورة يأتيهم؟ قال: (في صورة طائر لطيف[27]، يسقط على جُدُرهم ويشرف عليهم. فإذا رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشرّ وحاجة حزن واغتمّ).

- **﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾**

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[28].

مفهوم : الاستبشار تلقّي البشارة والفرح بها

يستبشرون ويفرحون بما يتلقُّون ممَّن خلفهم من النعمة والفضل، وانتفاء الخوف والحزن عنهم، وهو الولاية، وأنّهم يعملون الصالحات، واللهُ لا يضيع أجر المؤمنين، فيحفظ حسناتهم، ويعفو عنهم سيّئاتهم، ويفيض عليهم بركاته،

[27] أقول: تصوّره بصورة الطائر، فهو تمثّل.

[28] سورة **آل عمران**، الآيات 169-171.

فيرون منه ذلك. ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[29].

- **برزخ الكافر**

عن الصادق عليه السلام ـ في حديث سؤال المَلَكين ـ قال: فإذا كان كافرًا، قالا: مَن هذا الرجل الذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري، فيخليان بينه وبين الشيطان.

عن الباقر عليه السلام وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ... حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[30].

- **البرزخ عالم أوسع من عالم الدنيا**

ورد في أخبارٍ: أنّ جنّة البرزخ في وادي السلام، وأنّ نار البرزخ في وادي برهوت، وأنّ صخرة بيت المقدس مجتمع الأرواح.

تعيين الأرض في الأخبار محلًّا لجنّة البرزخ وناره، ومجيء الأموات لزيارة أهليهم، وغير ذلك، منزل على عدم انقطاع العُلقة المادّيّة بكمالها.

وفي روايات أُخر: مشاهدة الأئمّة للأرواح في أمكنة مختلفة، وروي ذلك في كرامات الصالحين بما هو فوق حدّ الحصر، وكلّ ذلك أُمور جائزة تكشف عن علقة (لشرافة) مكان أو زمان أو حال.

---

[29] سورة **التوبة**، الآية 105.

[30] سورة **الزخرف**، الآيات 36- 38.

[3]

في نفخ الصُّورِ

- **النفخ والصعق**

– ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ﴾[31].

– ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[32].

- **الصور**

مفهوم الصُّور في اللغة: القَرْن، وربّما كان يثقب وينفخ فيه. لا توجد دلالة عليه في الآيات.

الصور موجود حامل لصيحتين: صيحة مميتة وصيحة محيية.

- **الصعقة**

لم يُعبّر سبحانه بالموت، وإنّما عبّر بالصعقة؛ ولعلّ ذلك لأنّ الموت يطلق على خروج الروح من البدن، بينما حكم النفخة يشمل من في السموات والأرض.

- **من في الأرض والسموات**

والمراد بمَن في الأرض أهل الأرض وإن حلّوا البرزخ.

وأمّا من في السموات، فهم الملائكة وأرواح السعداء.

- **﴿ثمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾**.

---

[31] سورة **النمل**، الآية 87.

[32] سورة **الزمر**، الآية 68.

- ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[33].

- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾[34]؛ الزجرة هي الصيحة.

وصفهم سبحانه بسَمْع الصيحة بالحقّ (ولا يسمع إلّا الموجود الحي).

وأخبر بصعقتهم (فليس إلّا أنّ اتّصافهم بالحياة).

والموجود عين استماعهم وسمعهم (إذ إسماعهم للصيحة المحيية لهم بعد اتّصافهم بالحياة غير معقول).

فليس إلّا : كلمة إلهيّة تميتهم وتحييهم.

- **النفخة نفختان**

نفخة للإماتة ونفخة للإحياء. فالنفختان كلمتان إلهيّتان: كلمة مميتة وكلمة محيية.

الآيات الدالّة على وقوع الصيحة على أهل الأرض، وفناء الدنيا وخرابها، مُنزَلة على انطواء نشأة الدنيا وانقراضها وأهلها: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[35].

فهناك:

- صيحة ينطوي بها بساط الدنيا وينقرض أهلها.

- ونفخ يموت به أهل البرزخ.

- ونفخ تقوم به القيامة ويبعث به الناس.

وجمع الجميع تحت الأجل (أَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ): فلا موت أو صيحة أو نفخ إلّا بأجل.

---

[33] سورة **يس**، الآية 53.

[34] سورة **الصافات**، الآية 19.

[35] سورة **يس**، الآيتان 49 و50.

- **استثناء: من جاء بالحسنة**

– ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ... مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ، وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[36].

مفاد الاستثناء (إِلَّا مَن شَاء الله) أن الذين جاؤا بالحسنة آمنون من الفزع.

والمراد بالحسنة: الحسنة المطْلَقة، أمّا من اختلط عمله بالحسنة والسيئة فلا يأمن الفزع؛ لمكان السيّئة.

فالآمن من الفزع طيّب ذاته وطيّب عمله من السيّئات. فلا كفر ولا نفاق ولا شرك في ساحتهم.

طيب الذات من الشرك: أن لا يؤمن بغيره سبحانه، ولا يطمئنّ إلّا إليه، أي لا يرى له سبحانه شريكًا في وجوده وأوصافه وأفعاله، وهو الولاية.

– ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[37] من حيث الذات بالولاية ﴿يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾[38] السلام هو الأمن.

– ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[39] الحسنة هي الولاية.

– في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[40]، جاء في الروايات:

"الحسنة . والله . ولاية أمير المؤمنين، والسيّئة . والله . اتّباع أعدائه".

---

[36] سورة **النمل**، الآيات 87 إلى 90.

[37] سورة **النحل**، الآية 32.

[38] المصدر نفسه.

[39] سورة **الشورى**، الآية 23.

[40] سورة **النمل**، الآية 89.

"الحسنة معرفة الولاية وحبّنا أهل البيت، والسيّئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت".

- **الإحضار بعد الصعق**

– ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[41].

– ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[42].

الذين صُعقوا من النفخة هم الذين قاموا لله يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وهم المحضَرون.

- **استثناء: الْمُخْلَصِينَ**

استثنى سبحانه من المحضَرين عباده المخلصين:

– ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[43].

– ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[44].

المخلصون عن الشرك بذاتهم، لا سبيل للشيطان إليهم، ولا يتحقّق إغواؤه فيهم، ولا يرون لغيره سبحانه وجودًا، ولا يحسّون لغيره اسمًا ولا رسمًا، ولا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وهذا هو مفهوم الولاية.

فأولياء الله سبحانه مستثنون من حكم الصعقة والفزع، لا يموتون بالنفخة حين يموت بها مَن في السموات والأرض. فهم في فراغ وأمن من الشدائد والأهوال الواقعة بين النفختين.

---

[41] سورة **الزمر**، الآية 68.

[42] سورة **يس**، الآية 53.

[43] سورة **الصافات**، الآيتان 127 و128.

[44] سورة **ص**، الآيتان 82 و83.

[4]

في صفات يوم القيامة

من صفات يوم القيامة:

- **تقطّع الأسباب وانقطاع الروابط.**

جميع التأثيرات والارتباطات التي بين موجودات عالم الدنيا وما يتلوه، ستقطع وتزول، فلا يؤثّر شيء منها في شيء، ولا يتأثّر شيء عن شيء، ولا ينتفع شيء بشيء.

- ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[45].
- ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[46].
- ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً﴾[47].

إنّ المُلْك والقوّة والأمر لله دائمًا، ولا عاصم ولا ملجأ منه سبحانه دائمًا. إلّا أنّه سبحانه أخبر بتقطّع الأسباب يومئذٍ، وانقطاع الروابط:

- ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[48].

من صفات يوم القيامة:

- **انكشاف بطلان الارتباطات، لا حصول البطلان لها**

---

[45] سورة **غافر**، الآية 33.

[46] سورة **الشورى**، الآية 47.

[47] سورة **الدخان**، الآية 41.

[48] سورة **البقرة**، الآيتان 165 و 166.

يومئذٍ ينكشف أنّ تلك الارتباطات سرابيّة باطلة في أنفسها، فلا يبقى إلّا نسبتها إلى الحقّ سبحانه، وتبطل بقيّة النسب. ولأنّها باطلة في نفسها، فيومذاك ينكشف بطلانها، لا أنّها تبطل، فتظهر حقيقة الأمر، وهو أن لا وجود إلّا له سبحانه، ولا تأثير لغيره، فلا مُلك إلّا له، ولا مَلِك إلّا هو:

- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[49].
- ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾[50].
- ﴿يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ﴾[51].

أمّا الروايات:

ففي نهج البلاغة: وإنّ الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا، وحده لا شيء معه، كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقتٍ ولا مكانٍ، ولا حين ولا زمان. عُدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلّا الله الواحد القهار، الذي إليه مصير جميع الأمور.

وفي سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام: أيتلاشى الروح بعد خروجه من قالبه أم هو باقٍ؟ "بل هو باقٍ إلى وقت ينفخ في الصُّور، فعند ذلك تبطل الأشياء، فلا حسّ ولا محسوس، ثمَّ أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك بعد أربعمئة سنة لا خلق فيها، وذلك بين النفختين".

عن الصادق عليه السلام: "ثمَّ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ فيردّ على نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾".

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "ويقول الله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ ثمَّ تنطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه، فيقولون: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾".

---

[49] سورة **الانفطار**، الآية 19.

[50] سورة **الحاقة**، الآيتان 28و 29.

[51] سورة **إبراهيم**، الآية 31.

وعن السجّاد عليه السلام: "فعند ذلك ينادي الجبّار بصوت جهوري يُسمع في أقطار السموات والأرضين: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ﴾؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك ينادي الجبّار مجيبًا لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾".

من صفات يوم القيامة:

- **ظهور حقيقة الاغترار الدنيويّ**

– ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ* مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً﴾[52].

ظهر أنهم كانوا في الدنيا مغرورين بسرابها ولعبها، وقد كان باطلًا بالحقيقة.

– ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾[53]

من صفات يوم القيامة:

- **ظهور حكم الباطن (الشهادة)**

إذا بطلت الأسباب بينهم، ظهر حكم الباطن. فاتّحد حينئذٍ الغيب والشهادة؛ إذ كلّ شيء هو في نفسه ووجوده شهادة. فإذا ارتفعت الأسباب يرتفع كلّ حجاب.

– ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾[54].

– ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً﴾[55].

– ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[56].

---

[52] سورة **غافر**، الآيتان 73و 74.

[53] سورة **غافر**، الآية 74.

[54] سورة **غافر**، الآية 16.

[55] سورة **إبراهيم**، الآية 21.

[56] سورة **ق**، الآية 22.

من صفات يوم القيامة:

- **إحاطة الساعة بهذه النشأة وما فيها وما يتلوها**

– ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[57].

– ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[58].

– ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[59]

– ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[60].

من صفات يوم القيامة:

- **ظهور الحقّ الذي هو منتهى الغايات**

إنّ ظهور الباطن وبطلان الظاهر، يوجب ظهور الحقّ سبحانه يومئذٍ، وبلوغ الكلّ إلى غاية الغايات ومنتهى النهايات من كدحهم ورجوعهم:

– ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[61].

– ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[62].

– ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[63].

---

[57] سورة **النحل**، الآية 77.

[58] سورة **النازعات**، الآية 46.

[59] سورة **الملك**، الآية 27.

[60] سورة **المؤمنون**، الآيات 112- 114.

[61] سورة **الانشقاق**، الآية 6.

[62] سورة **النجم**، الآية 42.

من صفات يوم القيامة:

- **تنوّر الموجودات**

حيث ارتفعت الحُجب يومئذٍ، ولم يحتجب شيء عن شيء، فالوعاء وعاء النور، وقد تبدّلت الهويات فصارت متنوّرة:

- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[64].
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[65].
- ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾[66].

* **في قوله سبحانه:** ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[67]، قال السجاد عليه السلام: "يعني بأرض لم تُكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أوّل مرّة".

---

[63] سورة **النازعات**، الآيات 42- 44.

[64] سورة **إبراهيم**، الآية 48.

[65] سورة **الزمر**، الآية 69.

[66] سورة **الحديد**، الآية 12.

[67] سورة **إبراهيم**، الآية 48.

[5]

في قيام الإنسان إلى فصل القضاء

- **ضرورة رجوع الأشياء بتمام ذاتها**

المعاد: رجوع الأشياء بتمام ذاتها إلى ما بُدِئَ منها.

وما وجوده ذو مراتب وجهات متّحدة بعضها مع بعض، يرجع إلى هناك بتمام وجوده بالضرورة.

فلحوق بدن الإنسان بنفسه في المعاد ضروريّ.

غير أنّ النشأة متبدّلة إلى نشأة الكمال الأخير والحياة التامّة.

فالبدن هناك حيّ نورانيّ؛ كالنفس الحيّة.

- **وضرب لنا مثلًا [المعاد الجسمانيّ]**

– ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[68].

عن الصادق عليه السلام في كلامه مع الزنديق، قال عليه السلام: "إنّ الروح مقيمة في مكانها: روح المحسن في ضياء وفسحة، وروح المسِيءِ في ضيق وظلمة، والبدن يصير ترابًا منه خُلق، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها ممّا أكلته ومزّقته، كلّ ذلك في التراب محفوظ عند مَن لا يعزب عنه مثقال ذرّة في ظلمات الأرض، ويعلم عدد الأشياء ووزنها. وإنّ تراب الروحانيّين بمنزلة الذهب في التراب، فإذا كان حين البعث، مطرت الأرض مطر النشور، فتربو الأرض، ثمَّ تمخّض مخض السقاء، فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء، والزبد هو اللبن إذا مخّض، فيجتمع تراب كلّ قالب فينتقل بإذن القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها، وتلج الروح فيها، فإذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيئًا".

[68] سورة **يس**، الآيتان 78 و 79.

- **كيفيّة الرجوع (تبديل الأمثال)**

– ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[69].

المراد بتبديل الأمثال: ورود خَلْق بعد خَلْق : ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[70].

مثل الشيء: نفس الشيء.

أي التبدّلات فيهم، بحيث لا تخرج عن أنفسهم. فإنّ لبدن الإنسان تبدّلات حتّى يصل الغاية التي غيَّاها سبحانه له.

- **لحوق الأبدان بالأرواح**

تتبدّل الأبدان طورًا بعد طور حتّى تنتهي إلى الساعة فتحلّق بالأنفس:

– ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[71].

– ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[72].

وهذا هو لحوق الأبدان بالأرواح.

- **عروج الأرواح تكوينيًّا**

للأرواح مع ذلك سير وحركة في مسيرها:

– ﴿تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[73].

---

[69] سورة **الواقعة**، الآيتان 60و 61.

[70] سورة **ق**، الآية 15.

[71] سورة **الانفطار**، الآية 4.

[72] سورة **العاديات**، الآية 9.

[73] سورة **المعارج**، الآية 4.

– ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[74].

وقد جمع سبحانه أهل السعادة والشقاء جميعًا في قوله:

– ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[75].

وقال سبحانه في أهل الجنّة:

– ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً﴾[76].

وقال في أهل النار:

– ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾[77].

فأخبر سبحانه أن لا وقود لجهنّم غير أهلها، فخبوّها نفاد مَن فيها بالإحراق.

[6]

في الصراط

– ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً* إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[78].

– ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[79].

---

[74] سورة **غافر**، الآية 15.

[75] سورة **الأحقاف**، الآية 19.

[76] سورة **البقرة**، الآية 25.

[77] سورة **الإسراء**، الآية 97.

[78] سورة **النساء**، الآيتان 1698و 169.

[79] سورة **الصافّات**، الآيات 22– 25.

– ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً * ... وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[80].

للجحيم صراط يُهدى الظالمون إليه، مع أزواجهم، هم والشياطين. وهو صراط على الجحيم، أو فيها.

– ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[81].

وهذا الصراط الممدود على جهنّم ممرّ الخلائق أجمعين من برّ وفاجر، ثمَّ ينجّي الله الذين اتّقوا ويذر الظالمين فيها جثيًّا.

ولعلّ هذا هو المسؤول عنه في قوله سبحانه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾[82].

عن الباقر عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[83] سئل عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال صلّى الله عليه وآله وسلم: أخبرني الروح الأمين أنّ الله ـ لا إله غيره ـ إذا برز الخلائق، وجمع الأوّلين والآخرين، أتى بجهنّم تُقاد بألف زمام، آخذ بكلّ زمام مئة ألف يقودها من الغلاظ الشداد، لها هدّة وغضب، وزفير وشهيق. وإنّها لتزفر زفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب، لأهلكت الجميع. ثمَّ يخرّ منها عنق فيحيط بالخلائق، البرّ منهم والفاجر، ما خلق الله عبدًا من عباد الله، ملكًا ولا نبيًّا إلّا ينادي: ربّ نفسي نفسي، وأنت ـ يا نبيّ الله ـ تنادي: أُمّتي أُمّتي! ثمَّ يوضع عليها الصراط أدقّ من الشعر، وأحدّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم، والثانية فعليها الصلاة، والثالثة فعليها ربّ العالمين – لا إله غيره – فيكلّفون الممرّ عليها، فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[84]. ... فمتعلّق بيد وتزل بقدم ويستمسك بقدم، والملائكة حولها

---

[80] سورة **مريم**، الآيات 68 و 71 و 72.

[81] سورة **السجدة**، الآية 13.

[82] سورة **الصافّات**، الآيات 24– 26.

[83] سورة **الفجر**، الآية 23.

[84] سورة **الفجر**، الآية 14.

ينادون: يا حليم، اعف واصفح، وعد بفضلك، وسلّم سلّم، والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها. فإذا نجا ناج برحمة الله، مرّ بها، فقال: الحمد لله، وبنعمته تتمّ الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجّاني منكِ. بعد اليأس. بمنّه وفضله، إنّ ربّنا لغفور شكور.

عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: يرد النّاس النّار ثمَّ يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع البرق، ثمَّ كمرّ الريح، ثمَّ كمحضر الفَرس، ثمَّ كالراكب، ثمَّ كشدّ الرجُل، ثمَّ كمشيه.

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضًا، أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[85]، فقال: إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربّنا أن نرد النّار، فقال: قد وردتموها وهي خامدة.

وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورُك لهبي.

وفي تفسير قوله: ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾، قال الصادق عليه السلام: لا يجاذبه قَدما عبد حتّى يُسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ المسؤول عنه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

[7]

في الميزان

- **الموازين القسط**

– ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[86].

فسّر الموازين بالقسط، وهو العدل في مقابلة الظلم.

---

[85] سورة **مريم**، الآية 71.

[86] سورة **الأنبياء**، الآية 47.

- **الوزن حقّ ثابت يوم القيامة**

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾[87].

عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، قال: إنّما يعني الحسنات، تُوزن الحسنات والسيّئات، والحسنات ثِقْل الميزان، والسيّئات خفّة الميزان.

وعنه عليه السلام: هي قلّة الحسنات وكثرتها.

- **الوزن بالميزان يوم القيامة يختصّ بالأعمال غير المحبَطة**

– ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[88].

عن الصادق عليه السلام، حيث سأل عنه الزنديق: أوَليس توزن الأعمال؟ قال: لا؛ لأنّ الأعمال ليست أجسامًا، وإنّما هي صفة ما عملوا. وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها ولا خفّتها، وأنّ الله لا يخفى عليه شيء. قال: فما معنى الميزان؟ قال عليه السلام: العدل، قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؟ قال: فمَن رَجَحَ عمله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأمّا قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾[89]، فهو ميزان العدل، يُؤخذ به الخلائق يوم القيامة، يدين الله تبارك وتعالى الخلق بعضهم من بعض بالموازين.

عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قال: الأنبياء والأوصياء.

---

[87] سورة **الأعراف**، الآيتان 8و 9.

[88] سورة **الكهف**، الآية 105.

[89] سورة **الأنبياء**، الآية 47.

عن السجّاد عليه السلام: واعلموا ـ عباد الله ـ أنّ أهل الشرك لا يُنصب لهم الموازين، ولا يُنشر لهم الدواوين، وإنّما يحشرون إلى جهنّم زُمَرًا. وإنّما نصبُ الموازين ونشرُ الدواوين لأهل الإسلام، واتّقوا الله عباد الله.

[8]

في الكتب

- **الكتاب هو العمل نفسه لا أثره**

– ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[90].

– ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[91].

– ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[92].

طائره، عمله الذي يتفاءل به ويتشاءم.

أعمال الإنسان غير محسوسة ولا ظاهرة، لكنّ نشأة القيامة تُبلى فيها السرائر ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[93]؛ فلذلك:

1. وصف الطائر بإخراج كتاب منشور.
2. ونسب الإلزام إلى نفس الأعمال.
3. فالأعمال كما تحضر بأنفسها تحضر بحقائقها التي ظهرت منها.

---

[90] سورة **الزلزلة**، الآيات 6- 8.

[91] سورة **الأحقاف**، الآية 19.

[92] سورة **الإسراء**، الآيتان 13و 14.

[93] سورة **إبراهيم**، الآية 21.

- **الكتاب تذكير**

– ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾

– ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[94].

– **﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[95].

هذا الكتاب مكتوب فيه ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

ومنه النسخ الجزئيّة كلّها، ومنه تستنسخ الأعمال في نشأة ظهورها، وهو المشتمل على حقائقها والحجّة على الكلّ.

عن الصادق (ع) قال: إذا كان يوم القيامة، دُفع إلى الإنسان كتابه، ثمَّ قيل له: اقرأ. قلت: فيعرف ما فيه؟ فقال: إنّ الله يذكّره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قَدِم، ولا شيء فعله، إلّا ذكّر، كأنّه عمله تلك الساعة؛ فلذلك قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[96].

- **الكتاب إنباء**

– ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[97].

عمّم الكتابة لأعمالهم التي فعلوها بلا واسطة، وما يترتّب عليها من الآثار، فالكلّ محاسب به.

وهذا معنى قوله: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

---

[94] سورة **القيامة**، الآية 13.

[95] سورة **الجاثية**، الآية 29.

[96] سورة **الكهف**، الآية 49.

[97] سورة **يس**، الآية 12.

عن الباقر عليه السلام: بما قدّم من خير وشرّ وما أخّر، فما سنّ من سُنّة يُستنّ بها، فإن كان شرًّا كان عليه مثل وزرهم ولا ينقص من وزرهم شيئًا، وإن كان خيرًا كان له مثل أُجورهم ولا ينقص من أُجورهم شيئًا.

- **كيفية أخذ الكتاب**

– ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ* إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ﴾[98].

واليمين والشمال:

1. جانبا الإنسان القويّ والضعيف.
2. أو جانبا السعادة والشقاوة.

وليس المراد وضع الكتاب في يد الإنسان اليمنى أو اليسرى[99].

- **معنى أخذ الكتاب بالشمال.**

وراء الظهر.

– ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾[100].

العمى.

– ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً* وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[101].

---

[98] سورة **الحاقة**، الآيات 18-20 و25و 26.

[99] على ما يفهمه الظاهريّون من المحدّثين وغيرهم؛ إذ لم يقل سبحانه أُوتي كتابه ليمينه أو لشماله، بل أتى بالباء المفيد للوساطة.

[100] سورة **الانشقاق**، الآيات 7-11.

فيشبه أن يكون المراد باليمين والشمال، البركة والشأمة، والسعادة والشقاوة، دون اليدَين اليمنى واليسرى.

الكذب والضلال.

– ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾[102].

وهم أصحاب الشقاء من ضلال الملِّيِّين، وأمّا الكفّار الجاحدون، فلا يقيم سبحانه لهم وزنًا، فلا كتاب لهم ولا حساب.

---

[101] سورة **الانشقاق**، الآيتان 71 و72.

[102] سورة **الواقعة**، الآيات 90 إلى 93.